AL-QANATIR
INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES
eISSN: 2289-9944
Vol. 16. No. 3. (2019)

BASICS OF PONDERING THE NOBLE QUR'AN AND ITS OBSTACLES

مُقوّمات تدبّر القرآن الكريم ومُعوّقاته

Bey Zekkoub Abdelali[i]

[i] (*Corresponding author*). Assistant Professor & Deputy Dean For Undergraduate and Student Affairs, Faculty of Islamic Sciences, Al-Madinah International University. bey.zekkoub@mediu.edu.my

Abstract

There is no doubt that the revelation of the noble Qur'an is a great blessing for this blessed nation. But if we look at the reality of the Islamic nation we found that most of Muslim have abandoned the pondering in the Qur'an which caused a lot of problems in various aspects of life. This study was aimed to draw the main factors that are the process of the pondering the noble Qur'an, and so we can recognize many of the obstacles that prevent achieving the process of reflection. The analytical inductive method has been used in this research. The research has reached four basic elements which is; the presence of the heart with the perfection of knowledge, understanding of the recited verses or listened, reading with recitation and listening with attention. In addition, the research found four main obstacles. It is; absence of the heart, absence of the understanding, absence of recitation and absence of listening with attention.

Keywords: *Qur'an, Nation, Obstacles, Heart, Knowledge.*

ملخص البحث

مما لا شكَّ فيه أنّ إنزال القرآن الكريم يُعَدُّ مِنَّة عظمى على هذه الأمّة المباركة، إلاّ أنّ النّاظر في واقع الأمّة الإسلامية يجد أنّ عامّة أفرادها قد هجروا تدبّر القرآن الكريم مما جعلها تتخبّط في مشاكل لا نهاية لها متقلّبةً ذات اليمين وذات الشمال بحثاً عن مخرج لهذه المآزق التي حلّت بها في شتى مناحي الحياة، فإنّ هذه الدّراسة قد استهدفت رسم العوامل الأساسية التي بها تقوم عمليّة تدبّر القرآن الكريم، وبذلك نستطيع أن نتعرّف على كثير من الشّواغل والصّوارف والمثبّطات التي تحول دون تحقيق عمليّة تدبّر القرآن الكريم، وقد كان المنهج الاستقرائي التحليلي أداتنا للبحث في مقوّمات تدبّر القرآن الكريم ومعوّقاته، وقد توصّل البحث إلى أربعة مقومّات أساسية، وهي: حضور القلب مع كمال المعرفة وقدر من الفهم للآيات المتلوّة أو المسموعة والقراءة بترتيل والاستماع بإنصات، وفي مقابل ذلك فقد توصّل البحث أيضاً إلى أربعة معوّقات رئيسة، وهي: غياب القلب، وغياب الفهم، وغياب الترتيل، وغياب الاستماع بإنصات.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الأمّة، المعوّقات، القلب، تدبّر، المعرفة.	

مقدمة

الحمد لله وحدَه، وصلّى الله وسلّم على من لا نبيّ بعدَه، وعلى آله وصحبه ومن اتّبع هديَه، أمّا بعد، فتدّبر القرآن الكريم واجب على كلّ البشر مسلمهم، ومنافقهم، وكافرهم، ومشركهم على امتداد البعدين الزّماني والمكاني، فقد أنزل الله علينا القرآن وأمرنا بتدبّره لهدايتنا وإرشادنا إلى خيري الدنيا والآخرة، لذا فقد حثّنا ربنا سبحانه على هذا الأمر في أربعة مواضع متفرّقة من القرآن الكريم، ففي الموضع الأول قال جلّ جلاله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (القرآن. النساء:٨٢)، قال ابن جرير الطبري في تفسيرها: "أفلا يتدبر المبيّتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتأييد بعضه بعضا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق؛ فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض" (الطبري، ٢٠٠١).

وفي الثاني قال جلّ جلاله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (القرآن. المؤمنون: ٦٨)، قال ابن كثير في تفسيرها: "يقول تعالى منكرا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له وإعراضهم عنه مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف لا سيما آباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله عليهم بقبولها والقيام بشكرها وتفهمها والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول ﷺ ورضي عنهم" (ابن كثير، ١٩٩٩)؛ وفي الثالث قال جلّ جلاله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (القرآن. ص: ٢٩)، قال ناصر الدين البيضاوي في تفسيرها: "﴿لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ﴾ ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة. وقرئ «ليتدبروا» على الأصل و«لتدبروا» أي أنت وعلماء أمتك" (البيضاوي، ١٤١٨).

وفي الرّابع قال جلّ جلاله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (القرآن. محمد: ٢٤)، ويقول البيضاوي في تفسيرها: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي. ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ لا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر" (البيضاوي، ١٤١٨)؛ إضافة إلى آيات أخرى جاءت تحضّ على مسألة التدبّر دون التصريح بلفظ التدبّر، وقد عُبّر عنه بألفاظ أخرى كثيرة تتناسب والسياق الذي سيقت له كما هي عادة القرآن الكريم، فمثلا قوله جلّ جلاله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القرآن. القمر:١٧)؛ وقوله جلّ جلاله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى

جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (القرآن. الحشر: ٢١).

وقوله ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (القرآن. الزمر: ٢٣)، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (القرآن. ق: ٣٧) وغيرها من آيات كثيرة قد حثّت على تدبّر كتاب الله عز وجلّ وتفهّم معانيه، ولا يخفى علينا أيضاً أنّ السنّة النبوية الصحيحة قد حثّت على أهميّة تلاوة القرآن الكريم وتدبّر آياته واستنباط عظاته وعبره وتدارسها جماعياً لتعمّ الفائدة، ففي مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : {وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه} (الحديث. مسلم. باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. ٢٦٩٩).

المبحث الأوّل: مفهوم تدبّر القرآن الكريم وأهميته

يجمل بنا قبل أن يأخذنا الحديث عن مفهوم التدبّر وأهميته، أن نبيّن للقارئ أهم الفروقات الواردة بينه وبين التفسير، فالتفسير من الفَسْر، وهو البيان والإيضاح والإظهار والكشف، بينما التدبّر من دَبَر، وهو أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها، هذا والفرق بينهما ظاهر من ناحية اللّغة، ومن هنا فتدبّر القرآن يكون بتأمّل بعض آياته التي استوقفت التالي تلاوة أو سماعاً، ثم الاتّعاظ بعدها ائتماراً وانزجاراً، وهو لا يحتاج إلى شروط كثيرة، اللهمّ إلاّ: حضور القلب، وقدر من الفهم للآيات المتلوّة والمسموعة، والقراءة بترتيل، والاستماع بإنصات، بينما تفسير القرآن الكريم يكون ببيان معانيه على وجه التفصيل كلمة كلمةً، وآيةً آيةً، وسورةً سورةً.

وله شروط ذكرها العلماء في مؤلّفاتهم، كالسّيوطي في: "التحبير" و"الإتقان"، وابن كثير في: "مقدّمة تفسيره"، وابن تيمية في: "مقدمة في أصول التفسير"، وابن عاشور في: "المقدّمات العشر"، و خالد السبت في: "قواعد التفسير" وغيره، هذا لأنّه الرّواية عن الله أو التوقيع عن ربّ العالمين كما عنون به ابن القيم كتابه القيّم: "إعلام الموقعين عن ربّ العالمين"، ومن هذه الشروط التي ذكرها العلماء أن يكون المفسّر عارفاً بعلوم اللّغة العربية من نحو واشتقاق وتصريف وبلاغة، وعارفاً بالقرآن وعلومه كأسباب النزول والنّاسخ والمنسوخ، والقراءات القرآنية وغير ذلك، وعارفاً بأصول الدّين والفقه، وعارفاً بالأحاديث والآثار المتعلّقة بتفسيره، وغيرها من العلوم التي لا بدّ من توفّرها في مفسّر القرآن.

ويمكننا الآن تلخيص أهم الفروقات بين التدبّر والتفسير في أربع نقاط رئيسة:

- إذا كان التفسير هو الكشف عن معنى الآيات، فإنّ التدبّر هو استخراج هدايات الآيات.

- إذا كان المفسّر غرضه العلم بالمعنى، فإنّ المتدبر غرضه العمل بما علم.
- إذا كان التفسير مأمور به العلماء بحسب الحاجة وهو كفائيّ، فإنّ التدبر مأمور به عامة الناس وهو عينيّ.
- إذا كان المفسّر يحتاج إلى علم النحو وإلى علم الأصول وغير ذلك للكشف عن معاني القرآن الكريم، فإنّ المتدبّر لا يحتاج إلى شيء من تلك القواعد الأصولية والأصول النحوية للتنوّر بهدايات القرآن الكريم.

المطلب الأوّل: التّدبّر عند اللّغويين

تدور مادة الكلمة حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها، فأصل التدبُّر كما جاء في معجم مقاييس اللغة مِن: "دَبَرَ –بفتح الدال والباء–، وجُلُّه في قياس واحد، وهو: آخر الشيء، وخلفه؛ خلاف قُبُله" (ابن فارس، ١٤٠٠)، وجاء في لسان العرب: "دبّر الأمر وتدبّره أي نظر في عاقبته وعرف الأمر تدبرًا أي بآخره؛ فتدبر الكلام أي النظر في أوله وآخره ثم إعادة النظر مرة بعد مرة.. والتدبر في الأمر: التفكّر فيه" (ابن منظور، ١٤١٤)، وأمّا في مختار الصّحاح: " تدبير الأمر: النّظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبّر: التفكّر فيه" (الرازي، ١٩٨٦)، بينما في المعجم الوسيط: "تدبّر الأمر: ساسه ونظر في عاقبته" (مجمع، ١٤١٠). وقد عبّر السّلف عن التدبّر بألفاظ أخرى متقاربة وهي: التفكّر والتذكّر والنّظر والتأمّل والاعتبار والاستبصار، قال ابن القيم: " وَهَذَا يسْعَى تفكّراً وتذكّراً ونظراً وتأمّلاً واعتباراً وتدبّراً واستبصاراً وَهَذِه معَان مُتَقَارِبَة تَجْتَمِع فِي شَيْء وتتفرّق فِي آخر، ويسمّى:

- تفكّراً لأنه اسْتِعْمَال الفكرة فِي ذَلِك وإحضاره عِنْده.
- وَتذكّراً لأنه إحضار للْعلم الَّذِي يجب مراعاته بعد ذُهُوله وغيبته عَنهُ.
- وَنظراً لأنه الْتِفَات بِالْقَلْبِ إلى المنظور فِيهِ.
- وَتأمّلاً لأنه مُرَاجعَة للنَّظَر كرة بعد كرة حَتَّى يتجلى لَهُ وينكشف لِقَلْبِهِ.
- وَاعْتِبَاراً لأنه يعبر مِنْهُ إلى غَيره فيعبر من ذَلِك الَّذِي قد فكر فِيهِ الى معرفَة ثَالِثَة.
- وَتدبّراً لأنه نظر فِي أدبار الأمور وَهِي أواخرها وعواقبها.
- واستبصارا وَهُوَ استفعال من التبصر وَهُوَ تبين الأمر وانكشافه وتجليه للبصيرة" (ابن القيّم. ١٩٩٦).

المطلب الثاني: التدبّر عند المفسّرين

عبّر المفسّرون القدامى والمتأخّرون عن معنى تدبّر القرآن الكريم بعبارات متقاربة نجملها كالآتي:

قال الزّمخشري: "فمعنى تدبّر القرآن: تأمّل معانيه وتبصّر ما فيه" (الزمخشري، ١٤٠٧). وقال أبو حيّان: "هو التفكّر في الآيات، والتأمّل الذي يفضي بصاحبه إلى النّظر في عواقب الأشياء" (أبو حيّان، ١٤٢٠). وقال الخازن: "هو تأمّل معانيه، وتفكّر في حكمه، وتَبَصُّر ما فيه من الآيات" (الخازن، ١٤١٥). وقال ابن القيم: "هو تَحْدِيق نَاظِر القلب إلى معانيه، وجَمْع الفكر على تدبره وتَعَقُّله" (ابن القيّم، ١٩٩٦).

وقال حبنكة الميداني: "التدبّر هو التفكّر الشّامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة" (الميداني، ٢٠٠٩).

من خلال ما سبق طرحه يمكن القول بأنّ تدبّر القرآن الكريم هو: [عملية تأمّليّة شاملة لآيات القرآن الكريم تهدف إلى استخراج هداياتها والاعتبار بها بعد تفهّم معانيها في ضوء اجتهاد المفسّرين، ويشترك في هذه العملية اللّسان والعقل والقلب والأعضاء، فحظّ اللّسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظّ العقل فهم المعاني، وحظّ القلب الاتّعاظ والاعتبار، وحظّ الأعضاء الائتمار والانزجار، فاللّسان يرتّل، والعقل يترجم، والقلب يتّعظ، والأعضاء تعمل].

المطلب الثالث: أهمية تدبّر القرآن الكريم

يمكن إجمال أهمية تدبّر القرآن الكريم في النّقاط الآتية:

١. قراءة القرآن أو سماعه بتدبر يعين على فهم معاني القرآن الكريم، ومن ثم التأثر بها روحيّاً والعمل بها

ائتماراً وانزجاراً، قوله جلّ جلاله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القرآن. القيامة: ١٦-١٩).

٢. قراءة القرآن أو سماعه بتأمّل يورث معرفة الله وتعظيمه، ومن ثمّ يعقل النفس من الوقوع في المهالك،

قوله جلّ جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (القرآن. الأعراف: ٢٠١).

٣. قراءة القرآن أو سماعه بتفكّر يهدي إلى معاني الإيمان ويزيدها، ومن ثم عدم الشعور بالملل عند كثرة

ترداده، قوله جلّ جلاله: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (القرآن. التوبة: ١٢٤)، وقوله قوله جلّ جلاله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (القرآن. الأنفال: ٢).

٤. قراءة القرآن أو سماعه بتذكّر يلين القلوب ويطمئنها، ومن ثم يبعث فيها روح الخشية والخوف والرجاء والوجل، قوله جلّ جلاله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (القرآن. الزمر: ٢٣)، وقوله جلّ جلاله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (القرآن. المائدة: ٨٣).

٥. قراءة القرآن أو سماعه بتبصّر واجب شرعيّ على البشر جميعاً لهدايتهم وإرشادهم، لقوله جلّ جلاله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (القرآن. ص: ٢٩)، وقوله جلّ جلاله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (القرآن. النساء: ٨٢). قال القرطبي " .. إنه لا عُذْرَ في تَرْكِ التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآنِ الجبالُ ـ مع تركيب العقل فيها ـ لانقادتْ لمواعظه، ولرأيتَها ـ على صلابتها ورزانتها ـ خاشعةً متصدعةً، أي: متشققة من خشية الله" (القرطبي. ١٩٦٤).

٦. قراءة القرآن أو سماعه بالتفهّم لمعانيه وما أريد به، يستوجب محبّة الله للعبد، وقد عدّه ابن القيم في كتابه "مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" أوّل الأسباب العشرة الجالبة للمحبة والموجبة لها، قال: "قراءة القرآن بالتدبّر والتفهم لمعانيه وما أُريد به، كتدبّر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه" (ابن القيّم. ١٩٩٦).

٧. قراءة القرآن بتدبر يوقظ القلب وتتحرّك به جميع مشاعر الإنسان، وقد أشار سيد قطب إلى هذا المعنى بقوله: "وتدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير" (قطب. ١٩٨٥).

٨. قراءة القرآن أو سماعه بالتدبّر والتفكّر أنفع للقلب، وأدعى إلى حُصُول الإيمان وذوق حلاوة الْقُرْآن، وقد عبّر ابن القيم عن هذا بقوله: " فَلَا شَيْء أَنْفَع للقلب من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر والتفكر فَإِنَّهُ جَامع لجَمِيع منَازِل السائرين واحوال العاملين ومقامات العارفين وَهُوَ الَّذِي يُورث الْمحبَّة والشوق وَالْخَوْف والرجاء والانابة والتوكل وَالرِّضَا والتفويض وَالشُّكْر وَالصَّبْر وَسَائِر الأحوال الَّتِي بهَا حَيَاة الْقلب وكماله وَكَذَلِكَ يزْجر عَن جَمِيع الصِّفَات والأفعال المذمومة وَالَّتِي بهَا فَسَاد الْقلب وهلاكه فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا فَإِذا قَرَأَهُ بتفكر حَتَّى مر بِآيَة وَهُوَ مُحْتَاجا إِلَيْهَا فِي شِفَاء قلبه كررها وَلَو مائَة مرّة وَلَو لَيْلَة فقراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من قِرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى الى حُصُول الايمان وذوق حلاوة الْقُرْآن" (ابن القيّم. ١٩٩٦).

هذا وقد تبيّن لنا مما سبق أنّ مادة كلمة "تدبر" تدور حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها، وقد لاحظنا تقارب عبارات العلماء المتقدّمين والمتأخّرين في تحديد معنى تدبّر القرآن الكريم، وتوصلنا في الأخير إلى أنّ المقصود بتدبّر القرآن الكريم هو استخراج هداياته، والعمل بها بعد تعقّل معانيها في ضوء اجتهاد العلماء المفسّرين.

المبحث الثاني: مقوّمات تدبّر القرآن الكريم

المطلب الأوّل: مفهوم المقوّمات

المقوّمات في اللّغة أصلها من القوام، وقوام الأمر، بالكسر: نظامه وعماده، قال أبو عبيدة: هو قوام أهل بيته وقيام أهل بيته، وهو الذي يقيم شأنهم، ويقال: هذا قوام الأمر وملاكه الذي يقوم به، وقَوَّمَ دَرْأَه: أَزال عِوَجَ (ابن منظور، ١٩٩٤). و(قياما) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (القرآن. النساء: ٤-٥) "ما به يتقوّم المعاش" (ابن عاشور. ١٩٨٤)، و(قياما) في الآية أصله : قواما، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهو ملاك الأمر وما يقوم به الأمر، وأراد هاهنا قوام عيشكم الذي تعيشون به، قال الضحاك: به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار (البغوي. ١٤٢٠)، و(أقوم) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (القرآن. الإسراء: ٩) "الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب، وقال الزجاج: للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله، وقاله الكلبي والفراء" (القرطبي، ١٩٦٤).

بينما تعرّف المقومات في رأي الباحث بأنها: [العوامل الأساسية التي بها تقوم عملية تدبّر القرآن الكريم، وبانتفائها جزئيا أو كليّاً ينتفي التدبّر جزئيّاً أو كليّاً].

المطلب الثاني: أهمية معرفة المقومات

تبرز أهمية معرفة المقوّمات من خلال ما يأتي:

١. تحقيق تدبّر القرآن الكريم يستلزم معرفة مقوّماته وموجباته، وجهلها يحول دون تحقيق التدبّر.
٢. معرفة المقوّمات وتحقيقها يعين على تطهير القلب من جميع الشوائب والأمراض.
٣. معرفة المقوّمات وتطبيقها لتحقيق المقصد الأسنى من إنزال القرآن الكريم، قال جلّ جلاله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (القرآن. ص: ٢٩)، قال ابن عطيّة الأندلسي: "وظاهر هذه الآية يعطي أن التدبر من أسباب إنزال القرآن" (ابن عطيّة. ٢٠٠٢).

٤. معرفة المقوّمات يعين على تحقيق التدبّر، وتالياً فإطلاق حكم الوجوب على تدبّر القرآن وتفهّم معانيه يستلزم وجوب معرفة المقوّمات والموجبات التي تساعد المرء على تحقيق التدبّر، إذ لا معنى للتدّبر، إذا لم تتقى العوائق والصّوارف.

المطلب الثالث: مقوّمات تدبّر القرآن الكريم

لما كان من الأهميّة بمكان التعرّف على مقوّمات تدبّر القرآن الكريم، فإنّنا سنبينها كالآتي:

المُقوّم الأوّل: حضور القلب مع كمال المعرفة

لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (القرآن. ق: ٣٧)، أي: "استمع الكلام فوعاه، وتعقله بقلبه وتفهمه بلبّه" (ابن كثير، ١٩٩٩)، وقال يحيى بن معاذ: "القلب قلبان، قلب محتش بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من الأمور الآخرة لم يدر ما يصنع، وقلب قد احتشى بأهوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة" (القرطبي، ١٩٦٤).

ويفهم من الآية أنّه ينبغي أن يكون حضور القلب حضوراً حقيقيّاً عند تلاوة القرآن الكريم أو سماعه، لا مجرّد حضور صوريّ لا يفقه شيئاً مما يتلو أو يتلى عليه من آيات بيّنات. وبهذا الاعتبار، فالقلب بمثابة الرّادار في جسم الإنسان، فإذا كان عمل الرّادار يتمثّل في عملية حراسة ومراقبة الخطر الخارجي والتبليغ عنه الجهات المعنية بدفعه وإبعاده، فإنّ القلب يتمثل في عملية مراقبة سلوك الإنسان ورسم الطريق القويم التي ينبغي لسائر أعضاء الجسم اتباعها ومحاربة كل ما سبيله الانحراف عن الجادة، فإذا تعطّل الرادار عن أداء المهام التي أنيطت إليه فإنّه الخراب والدّمار والشرّ والفساد، كذلك إذا تعطّل القلب عن أداء مهام الهداية والإدراك والخير والإيمان التي أوكلت له فإنّه الضّلال والخراب والغيّ والشرّ والإثم والفساد في كل أنحاء الجسم.

المُقوّم الثاني: قدر من الفهم للآيات المتلوّة أو المسموعة

لقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القرآن. القمر: ١٧)، قال ابن جرير الطبري في تفسيرها: "ولقد سهّلنا القرآن، بيّنّاه وفصّلناه للذّكر لمن أراد أن يتذّكر ويعتبر ويتعظّ، وهوّناه. فهل من معتبر متّعظ يتذكّر بما فيه من العبر والذّكر؟" (الطبري، ٢٠٠١). وهذا القدر من الفهم يحصل بمطالعة كتب التفاسير المختصرة من مثل: "المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير" تأليف مجموعة من علماء الهند بإشراف صفيّ الرّحمن المباركفوري، "تفسير الجلالين" لجلال الدّين المحلّى، وجلال الدّين

السّيوطي، "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لعلي بن أحمد الواحدي، "الوجيز في تفسير القرآن الكريم" لشوقي ضيف (معاصر)، "التفسير الميسّر"، تأليف نخبة من العلماء المعاصرين، "التفسير الواضح الميسّر" لمحمد بن علي الصابون (معاصر)، "المعين على تدبر الكتاب المبين" لمجد مكي (معاصر)، وغيرها.

مع التذكير أيضاً أنّه ثمّة آيات قرآنية لا يحتاج في معرفة معناها إلى كثير عناء من مثل مطالعة كتب التفسير، ومعرفة علم الأصول وعلم النحو وغير ذلك، وإنّما يرجع إلى مدى حضور القلب وكمال معرفته، لذا فلا عذر لأحد في ترك التدبّر والتفكّر والتأمّل والتذكّر والاتّعاظ بالآيات القرآنية، قال الصّنعاني: "إنّ كثيرا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لا يحتاج في معناها إلى علم النحو وإلى علم الأصول بل في الأفهام والطباع والعقول ما سارع به إلى معرفة المراد منها عند قرعها الأسماع من دون نظر إلى شيء من تلك القواعد الأصولية والأصول النحوية. ولذا ترى العامة يسمعون القرآن فيفهمون معناه ويبكون لقوارعه وما حواه ولا يعرفون إعرابا ولا غيره .. بل ربما كان موقع ما يسمعون في قلوبهم أعظم من موقعه في قلوب من حقق قواعد الاجتهاد وبلغ غاية الذكاء والانتقاد" (الصّنعاني، ١٩٨٥).

المُقوّم الثالث: القراءة بترتيل

لقوله ﷻ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (القرآن. المزمل: ٢٠)، وقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾(القرآن. المزمل: ٤). وترتيل القرآن: "قراءته على تؤدة بتبيين الحروف، وحفظ الوقوف، وإشباع الحركات، وهو تأكيد في إيجاب الأمر به وأنّه لا بدّ منه للقارئ" (النّسفي، ١٩٩٨). والتؤدة هي الترسّل في القراءة وعدم الإسراع فيها، لذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لأن أقرأ البقرة أرتّلها، أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كلّه" (الواحدي، ١٩٩٤). وفي الصّحيح عن قتادة ﷺ: "سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ ؟ فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ (القرآن. الفاتحة: ١)، يمدّ ببسم الله، ويمدّ بالرّحمن، ويمدّ بالرّحيم" (الحديث. البخاري. باب مد القراءة. ٥٠٤٦). وقد نبّه الأمين الشنقيطي عن مسألة إعطاء المدّ حقّه فقال: "إنّ للمدّ حدوداً معلومة في التجويد حسب تلقي القرّاء – رحمهم الله – ، فما زاد عنها فهو تلاعب، وما قلّ عنها فهو تقصير في حقّ التلاوة" (الشنقيطي، ١٩٩٥).

إذن فالترسّل في قراءة القرآن الكريم وعدم الإسراع فيها وعدم الإخلال بأحكام التجويد يعين المرء على تدبر القرآن الكريم والتفاعل مع أحداثه والعيش في ظلاله، إذ الترسّل في القراءة يعطي التالي الوقت الكافي للوقوف على آي القرآن الكريم تأملاً وتدبّراً وتذّكراً وتبصّراً، فإذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح الله ونزّهه عما نسبه إليه أهل الكتاب ومن سار على دربهم، أو تحميد حمد الله على جميع نعمه ما ظهر منها وما بطن، أو تكبير كبّر الله وعظّمه واستصغر كل أمور الدنيا، أو تهليل هلّل الله وأفرده بالألوهية والعبودية والحاكمية ومصدر التلقي، أو آيات ذكر الجنة والنار سائلاً المولى الفوز بالجنة

والنجاة من النار، أو آيات ذكر قصص المرسلين والصالحين والأمم الخالية مقتدياً ومتأسيّاً بسيرة المرسلين والصالحين، ومعتبراً بما حلّ بالأمم الماضية من أنواع النعم أو أنواع النّقم ليتخذ بأسباب نيل النعم والبعد عن أسباب نيل النقم.

المُقوّم الرابع: الاستماع بإنصات

لقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (القرآن. الأعراف: ٢٠٤)، قال ابن كثير في تفسيرها: " أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاماً له واحتراماً" (ابن كثير، ١٩٩٩). والإنصات في اللّسان: "هو السّكوت والاستماع للحديث.. وأنصت ينصت إنصاتا إذا سكت سكوت مستمع، وقد أنصت وأنصته إذا أسكته" (ابن منظور، ١٩٩٤).

ويفهم من الآية أنّ كمال التدبّر لا يحصل بمجرّد الاستماع إلى تلاوة القرآن فقط، ولكن لا بدّ من السّكوت عند سماع تلاوته أو ترك مواطن التّشويش. وقد كان هديه ﷺ الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم بإنصات وخشوع، روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: {اقرأ علي، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك، وعليك أنزل، قال: نعمظن فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (القرآن. النّساء: ٤١)، قال: حسبك الآن، فالتفتّ إليه، فإذا عيناه تذرفان} (الحديث. البخاري. باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا﴾ (القرآن. النساء: ٤١). ٤٥٨٢). هذا "فالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له – حيثما قرى ء – هو الأليق بجلال هذا القول، وبجلال قائله سبحانه!" (قطب، ١٩٨٥). ومع توفّر هذه الشّروط بمجموعها يحصل التدبّر الكامل للقرآن الكريم.

هذا وقد تمّ الحديث في هذا المبحث عن أهم العوامل التي تساعد على تحقيق تدبّر القرآن الكريم، وهي:

١. حضور القلب مع كمال المعرفة
٢. قدر من الفهم للآيات المتلوّة أو المسموعة
٣. القراءة بترتيل
٤. الاستماع بإنصات

وتاليًا فإنّ عمليّة تدبّر القرآن الكريم تكون على قدر حضور تلك العوامل الأربعة، والتي بانتفائها جزئيًّا أو كليًّا ينتفي التدبّر جزئيًّا أو كليًّا.

المبحث الثالث: معوّقات تدبّر القرآن الكريم

إنّ الحديث عن عوائق تدبّر القرآن الكريم، يرجع بنا إلى الوراء لاستذكار الحديث عن مقوّماته، هذا وإنّ انتفاء مقوّمات التدبّر يستلزم عدم حصول التدبّر، وبذلك نستطيع أن نتعرّف على كثير من العوائق والصّوارف والشّواغل والمثبّطات، وسنعرض هذه المعوّقات في أربع نقاط رئيسة، علماً أنّه كلّما انتفى مقوّمٌ، كلّما قلّ التدبّر، إلى أن يذهب التدبّر كليّة إذا انتفت المقوّمات كلّها.

المطلب الأوّل: مفهوم المعوّقات

المعوّقات في اللّغة: عاقه عن الشيء يعوقه عوقا: صرفه وحبسه، ومنه التعويق والاعتياق، وذلك إذا أراد أمرا فصرفه عنه صارف العوق: الأمر الشاغل، وعوائق الدهر: الشواغل من أحداثه. والتعوّق: التثبّط، والتعويق: التثبيط" ، و"عوَّقَ يعوِّق، تعويقًا، فهو مُعوِّق، والمفعول مُعوَّق، عوَّقَه زائرٌ: عاقه، أخَّره وشغله، وعوَّقه عن الأمر: عاقه، منعه منه وشغله عنه "، وفي التنزيل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (القرآن. الأحزاب: ١٨)؛ قال الزمخشري:"المعوّقين: المثبّطين عن رسول الله ﷺ ، وهم المنافقون" (الزمخشري، ١٩٨٧).

بينما تعرّف اصطلاحًا في نظر الباحث بأنّها: [الشّواغل والصّوارف والمثبّطات التي تحول دون تحقيق التدبّر].

المطلب الثاني: أهمّية معرفة المعوّقات

تبرز أهمية معرفة المعوّقات من خلال ما يأتي:

١. تحقيق تدبّر القرآن لا يكفي بتحقيق شروطه وموجباته، بل لا بدّ من معرفة المعوّقات التي تحول دون تحقيقه.
٢. معرفة العوائق وإزالتها لتطهير القلب من جميع الشوائب والأمراض.
٣. معرفة العوائق وإزالتها لتجنّب الوقوع فيها، فعن أبي إدريس الخولاني، أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول:{كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشّرّ مخافة أن يدركني} تذرفان (الحديث. البخاري. باب علامات النبوة في الإسلام. ٣٦٠٦).
٤. معرفة العوائق وإزالتها لتحقيق المقصد الأسنى من إنزال القرآن الكريم، قال ﷻ:﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (القرآن. ص: ٢٩).
٥. معرفة العوائق يستلزم تحقيق التدبّر، وتالياً فإطلاق حكم الوجوب على تدبّر القرآن وتفهّم معانيه يستلزم وجوب معرفة الشّواغل والصّوارف والمثبّطات التي تحول بين المرء وقلبه في تحقيق التدبّر، إذ لا معنى للتدّبر، إذا لم تتقى العوائق والصّوارف.

المطلب الثالث: معوّقات تدبّر القرآن الكريم

إنّ ما ذكر من الشّروط الرّئيسة للتدبّر، سبق أن نبّهنا بأنّه إذا تخلّف شيء منها كان ذلك صارفاً عن التدبّر جزئيّاً أو كليّاً، ومن هنا فإنّ الباحِث سيقتصر على ذكر بإجمال أهمّ ما يمكن أن يكون عائقاً دون تدبّر القرآن الكريم، ولعلّ أبرز هذه العوائق ما يأتي:

المُعوّق الأوّل: غياب القلب

لا شكّ أنّ القلب هو العضو الأساس في جسم الإنسان، الذي إن اعوجّ اعوجّت معه سائر أعضاء الجسد، وإن استقام استقامت، لما أخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {.. ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب} (الحديث. البخاري. باب باب فضل من استبرأ لدينه. ٥٢).

والقلب الغائب هو القلب غير المتدبّر للآيات المتلوّة أو المسموعة نظراً لانشغاله عنها بغيرها، وقد جاء التعليل عن غياب القلب في حديث مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأيما قلب رفضها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصبح القلوب على قلبين: قلب أبيض خالصاً، وقلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً} (الحديث. مسلم. باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين. ١٤٤).

وفي حديث الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: {إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (القرآن. المطففين: ١٤)}، (الحديث. الترمذي. باب ومن سورة ويل للمطففين. ٣٣٣٤).

وقد ذكر القرآن الكريم جملة من الأسباب الموجبة لصرف القلب وصدّه عن تدبّر القرآن الكريم، وتفهّم معانيه، والعمل به، من ذلك: الختم، المرض، القسوة، الغلف، العصيان، التكبّر، الإثم، الزّيغ، الغلظة، النّفاق، الطّبع، الجهل، الغيظ، الغفلة، اللّهو، العمي، القفل، الغلّ، التشتّت، الرّان. ونورد هنا تقسيم ابن القيم النّاس عند سماعهم القرآن الكريم بين حاضر القلب من عدمه إلى ثلاثة أنواع:

الأول: رجل قلبه ميت، فذلك الذى لا قلب له، فهذا ليست هذه الآية ذكرى فى حقّه.

الثانى: رجل له قلب حىّ مستعد، ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب، ليس حاضرًا، فهذا أيضا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

الثالث: رجل حى القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملقى السمع، فهذا القسم هو الذى ينتفع بالآيات" (ابن القيم، ١٩٩٦).

ولعلّ من أهمّ مظاهر غياب القلب:

١. عدم تهيئة النفس روحيّاً وجسدياً لتلاوة القرآن الكريم.
٢. العزم على ارتكاب المعاصي مع شرود الذّهن.
٣. الالتفات يمنة ويسرة أثناء التلاوة.
٤. إيثار محابّ الدّنيا على محابّ الأخرى.
٥. عدم استحضار أنّ القرآن كلام الله المخاطَب به.
٦. عدم استشعار نعمة العيش في ظلال القرآن الكريم.
٧. الجري وراء الشهوات الدنيوية الجارفة والاهتمام بها، والانصراف عن القرآن الكريم.
٨. عدم التوبة والإنابة إلى الله.

المُعوّق الثاني: غياب الفهم

وهذا العائق لا يقلّ أهميّة عن سابقه، فبعد الناس عن اللّغة العربيّة، وتوجّههم للهجات العاميةّ، أنتج صعوبات في فهم القرآن الكريم، إضافة إلى واقع مؤسسات التربوية على وجه العموم لا يبثّ في الناس أهميّة تعلّم اللّغة العربية والتعامل بها في جميع الأحوال سواء داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها، أيضاً وجود خلل في مناهج التلقّي والتعليم في مختلف المؤسسات التربوية والتعليمية، فمنذ أن دخلت البلدان الإسلامية تحت وطأة الاستعمار الغربي، حدث الخلل في برامجها التعليمية، حيث أصبح التعليم يصبّ في صالح المعارف الإنسانية على غرار التربية الإسلامية واللغة العربية، وهذا أثّر سلباً على تعلّم اللغة العربيّة وفقهها بشكل جيّد يؤهّل الناس إلى تدبّر كتاب الله عز وجل، وتفهّم معانيه، والعمل بحِكَمِه وأحكامه، وقد قال ابن عطية في قوله ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (القرآن. المزمل: ٤): "والمقصد أن يجد الفكر فسحة للنظر وفهم المعاني، وبذلك يرق القلب ويفيض عليه النور والرحمة" (ابن عطيّة، ٢٠٠٢). وقال أبو بكر بن طاهر: "تدبر في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسرّك بالإقبال عليه" (القرطبي، ١٩٦٤).

ولعلّ أبرز مظاهر غياب الفهم:

١. عدم مطالعة مختصرات تفسير القرآن الكريم، وكتب مفردات القرآن وغرائبه.
٢. عدم حضور مجالس العلم، مع سؤال أهل العلم عمّا أشكل من معاني القرآن.
٣. عدم التركيز أثناء تلاوة القرآن الكريم وسماعه مع شرود الذّهن.

٤. عدم تقديس اللغة العربية باعتبارها المفتاح الأساس والأوحد لتدبّر القرآن وتفهّم معانيه.
٥. الانشغال بمعرفة متشابهات القرآن الكريم عن محكماته، والجري وراء معرفة غريب ألفاظه.
٦. ترك التدبّر تورّعاً عن القول في كلام الله بغير علم.
٧. الاقتصار على إقامة الحروف، وتزيين التلاوة، وقوّة استحضار الحفظ، على حساب تدبّر القرآن.
٨. السّير وراء التصوّرات الخاطئة عن القرآن، وقصره على الرّقية الشرعية، وقراءته على الأموات، والتبرّك به، وتعليقه لتزيّن به الجدران.

المُعوّق الثالث: غياب الترتيل

لا شكّ أنّ هذّ القرآن كهذّ الشّعر، وقراءته كقراءة الكتب والجرائد والمجلات، يذهب جمال القرآن وهيبته وإعجازه، لذا فقد ورد النهي عن الهذّ فيما روي عن ابن مسعود ﷺ أنّه قال: "لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ، كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ" (ابن أبي شيبة، ١٩٨٩). وعنه أيضاً قال: "من قرأ القرآن في أقل من ثلاث، فهو راجز" (ابن منصور، ١٩٩٧). وقال الرّازي: "والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني، لأنّ النّفس تبتهج بذكر الأمور الإلهيّة الروحانيّة، ومن ابتهج بشيء أحبّ ذكره، ومن أحبّ شيئاً لم يمرّ عليه بسرعة" (الرازي، ١٩٨٦).

ولعلّ من أهمّ مظاهر غياب الترتيل:

١. السّرعة في تلاوة القرآن الكريم لأجل الختم.
٢. اعتقاد أنّ ترتيل القرآن الكريم مقصور على المتخصّصين في مجال القرآن وعلومه.
٣. الإخلال بقواعد الترتيل أثناء تلاوة القرآن الكريم.
٤. الانشغال بمطالعة الكتب والمصنّفات بدل ترتيل القرآن الكريم.
٥. الاقتصار على ترتيل القرآن الكريم في المناسبات فقط.
٦. اعتقاد أنّ مهمّة القارئ تنحصر في كثرة القراءة طلباً للأجر، دون التدبّر والتخشّع.
٧. الاقتصار على تلاوة القرآن من باب العادة والإلف، لا من باب كونه متعبّد بتلاوته.
٨. جهل وجوب ترتيل القرآن كما أنزل وكما يحبّ ربنا ويرضى.

المُعوّق الرابع: غياب الاستماع بإنصات

وهذا العائق لا يقلّ أهميّة عن سابقه من حيث هذا الترتيب، حيث إنّ حال المرء تجاه القرآن الكريم، يفترض أن يكون:

– تالياً له منصتاً له.

– أو مجرّد منصت لمن يقوم بتلاوته.

وفي كلّ خير ما دام السّماع بإنصات، وإن كان حال الأوّل أرجح أجراً من حال الثاني، لأنّ الأوّل حقّق الإنصات إلى جانب التلاوة، بينما الثاني لم يحقّق إلاّ الإنصات.

ولعلّ أبرز مظاهر غياب الاستماع بإنصات:

١. عدم اختيار الوقت والحال الأصلح لسماع القرآن الكريم، وهذا مثل سماعه ا أثناء المذاكرة والعمل.
٢. عدم اختيار المكان الأنسب للتلاوة، كتلاوته في الأسواق ومكتب العمل وأماكن التشويش.
٣. التحدّث أثناء سماع قراءة القرآن.
٤. تركيز السّمع كلّه على إنصات الأصوات الجميلة، بدل التركيز على محاولة تفهّم معانيه الدّقيقة.
٥. تركيز السّمع كلّه على إنصات كيفيّة تحقيق حروفه، وتخريج مخارجه.
٦. حصر سماعه بإنصات عند بعض مواسم العبادة التي تتكّرر سنويّاً.
٧. الاقتصار على سماعه بإنصات عند وقوع المحن والابتلاءات الشدّيدة.
٨. الاقتصار على سماعه بإنصات في حضرة من يعظم احترامه.

هذا وقد تمّ الحديث في هذا المبحث عن أهم الشّواغل والصّوارف والمثبّطات التي تحول دون تحقيق تدبّر القرآن الكريم، وقد أوجزها الباحث في أربع نقاط أساسيّة، هي:

١. غياب القلب.
٢. غياب الفهم.
٣. غياب الترتيل.
٤. غياب الاستماع بإنصات.

الخاتمة

تبيّن من خلال هذه الدّراسة الآتي:

١. التدبّر هو: عملية تأمّليّة شاملة لآيات القرآن الكريم تهدف إلى استخراج هداياتها والعمل بها في ضوء اجتهاد علماء التفسير.
٢. عبّر علماء الخلف عن التدبّر بألفاظ أخرى متقاربة وهي: التفكّر والتذكّر والنّظر والتأمّل والاعتبار والاستبصار.

٣. التدبر مأمور به عامة الناس وهو عينيّ، وأما التفسير فمأمور به العلماء بحسب الحاجة وهو كفائيّ.

٤. يعنى بمقوّمات تدبّر القرآن الكريم: العوامل الأساسية التي بها تقوم عملية تدبّر القرآن الكريم.

٥. مقوّمات تدبّر القرآن أربعة، هي: حضور القلب مع كمال المعرفة، قدر من الفهم للآيات المتلوّة أو المسموعة، القراءة بترتيل، الاستماع بإنصات.

٦. يعنى بمعوّقات تدبّر القرآن: الشّواغل والصّوارف والمثبّطات التي تحول دون تحقيق التدبّر.

٧. معوّقات تدبّر القرآن أربعة، هي: غياب القلب، غياب الفهم، غياب الترتيل، غياب الإنصات.

وفي نهاية المطاف يوصي الباحث بضرورة تلاوة القرآن الكريم و تدبّره، وتفهّم معانيه مع التأثّر بها، والعمل على فعل أوامره، وترك نواهيه، والتنوّر بهداياته وإلهاماته، والدّعوة إلى تعاليمه على بصيرة، والجهاد به جهاداً كبيراً لا يخالطه فتور. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (القرآن. الصافات: ١٨٠– ١٨٢).

المراجع

مجموعة من الباحثين. ٢٠١٣. أوراق عمل الملتقى العالمي الأول عن تدبر القرآن الكريم. الرياض: مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية.

الترمذي، أبو عيسى. ١٩٧٥. الجامع الصحيح سنن الترمذي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البغوي، أبو محمد. ١٩٧٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. 2000. البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.

أحمد مختار، عبد الحميد عمر. ٢٠٠٨. معجم اللغة العربية المعاصرة. بيروت: عالم الكتب.

البيضاوي، ناصر الدين. ١٩٩٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البخاري، محمد بن إسماعيل. ٢٠٠٢. صحيح البخاري. بيروت: دار الكتب العربية.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. ٢٠٠٩. التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل. دمشق: دار القلم.

القرطبي، أبو عبد الله. ١٩٦٤. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.

الواحدي، أبو الحسن. ١٩٩٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخازن، علاء الدين. ١٩٩٥. لباب التأويل في معاني التنزيل. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، محمود بن عمر. ١٩٨٧. الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الكتاب العربي.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل. ١٩٨٥. إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد. الكويت: الدار السلفية.

ابن عاشور، محمد. ١٩٨٤. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.

ابن عطيّة، أبو محمد. ٢٠٠٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن أبي شيبة، أبو بكر. ١٩٨٩. مصنف بن أبي شيبة. الرياض: مكتبة الرشد.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. ١٩٨٠. معجم مقاييس اللغة. مصر: مطبعة البابي الحلبي.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. مصر: دار طيبة.

ابن منظور، محمد بن مكرم. ١٩٩٤. لسان العرب. بيروت: دار صادر.

ابن القيم، أبو عبد الله. ١٩٩٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. مصر: دار الكتاب العربي.

ابن القيم، أبو عبد الله. ١٩٩٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. بيروت: دار الكتب العلمية.

مسلم، أبو الحسن. د.ت. صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النسفي، أبو البركات. ١٩٩٨. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. بيروت: دار الكلم الطيب.

الرازي، محمد بن أبي بكر. ١٩٨٦. مختار الصحاح. بيروت: مكتبة لبنان.

سعيد بن منصور، أبو عثمان. ١٩٩٧. التفسير من سنن سعيد بن منصور. الرياض: دار الصميعي.

سيد قطب. ١٩٨٥. في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق.

الشنقيطي، محمد الأمين. ١٩٨٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت : دار الفكر.

الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الهجر.

REFERENCES

Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf al-Andalusiyy. 2000. *Al-Bahr al-Muhit Fi Al-Tafsir*. Beirut: Dar Al-Fikr.

Ahmad Mukhtar, Abd al-Hamid Umar. 2008. *Mu'jam Al-Lughat al-Arabiyyah Al-Mu'asirah*. Beirut: Alam Al-Kutub.

al-Baghawiyy Abu Muhammed. 1979. *Ma'alim al-Tanzil Fi Tafsir Al-Qur'an*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath Al-Arabiyy.

Al-Baydawiyy, Nasir al-Din. 1999. *Anwar al-Tanzil Wa Asrar al-Ta'wil*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath Al-Arabiyy.

Al-Bukhariyy, Muhammad bin Isma'il. 2002. *Sahih Al-Bukhariyy*. Beirut: Dar al-Kutub Al-Arabiyyah.

Ibn Abi Shaybah, Abu Bakr. 1989. *Musannaf Ibn Abi Shaybah*. al-Riyad: Maktabat al-Rushd.

Ibn Ashur, Muhammad. 1984. *Al-Tahrir Wa al-Tanwir*. Tunisia: Dar al-Tunisiyyah.

Ibn Atiyyah, Abu Muhammad. 2002. *Al-Muharrar al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Ibn Faris, Ahmad bin Faris bin Zakariyya. 1980. *Mu'jam Maqayis Al-Lughah*. Egypt: Matba'at Al-Babiyy Al-Halabiyy.

Ibn Kathir, A. 1999. *Tafsir Al-Qur'an Al-Azim*. Egypt: Dar Tibah.

Ibn Manzur, Muhammad bin Makram. 1994. *Lisan Al-Arab*. Beirut: Dar Sadir.

Ibn al-Qayyim, Abu Abdillah. 1996. *Madarij Al-Salikin Bayna Manazil Iyyaka Na'budu Wa Iyyaka Nasta'in*. Beirut: Dar Al Kitab Al-Arabiyy.

Ibn al-Qayyim, Abu Abdillah. 1996. *Miftah Dar Al-Sa'adah Wa Manshur Wilayat al-Ilm Wa al-Iradah*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Khazin, Ala' al-Din. 1995. *Lubab al-Ta'wil Fī Ma'ani a-Tanzil*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Majmu'ah Min al-Bahithin. 2013. *Awraq Amal al-Multaqa al-Alamiyy al-Awwal An Tadabbur al-Qur'an al-Karim*. al-Riyad: Markaz Tadabbur Li al-Istisharat al-Tarbawiyyah Wa al-Ta'limiyyah.

Al-Maydaniyy, Abd al-Rahman Hasan Habannakah. 2009. *Al-Tadabbur Al-Amthal Li Kitabillah Azza Wa Jalla*. Damascus: Dar Al-Qalam.

Muslim, Abu al-Hasan. N.d. *Sahih Muslim*. Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabiyy.

Al-Nasafiyy, Abu al-Barakat. 1998. *Madarik Al-Tanzil Wa Haqa'iq A-Ta'wil*. Beirut: Dar Al-Kalim al-Tayyib.

Al-Qurtubi, Abu Abdillah. 1964. *Al-Jami' li Ahkam Al-Qur'an*. Cairo: Dar Al-Kutub Al-Misriyyah.

al-Raziyy, Muhammad bin Abi Bakr. 1986. *Mukhtar Al-Sihah*. Beirut: Maktabah Lubnan.

Sa'id bin Mansur, Abu Uthman. 1997. *al-Tafsir Min Sunan Sa'id bin Mansur*. al-Riyad: Dar Sumay'iyy.

Al-San'aniyy, Muhammad bin Isma'il. 1985. *Irshad Al-Nuqqad Ila Taysir Al-Ijtihad*. Kuwayt: Dar al-Salafiyyah.

Sayyid Qutb. 1985. *Fi Zilal Al-Qur'an*. Cairo: Dar Al-Shuruq.

al-Shanqiti, Muhammad al-Amin. 1995. *Adwa' al-Bayan Fi Idah al-Qur'an bi al-Qur'an*. Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Tabariyy, Muhmmad bin Jarir. 2001. *Jami' Al-Bayan Fi Ta'wil Al-Qur'an*. Beirut: Dar al-Hajar.

Al-Tirmidhiyy, Abu Isa. 1975. *Al-Jami' al-Sahih Sunan al-Tirmidhiyy*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath Al-Arabiyy.

Al-Wahidi, Abu al-Hasan. 1994. *Al-Wasit Fi Tafsir Al-Qur'an Al-Majid*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Zamakhshari, Mahmud bin Umar. 1987. *Al-Kashshaf An Haqa'iq Al-Tanzil Wa Uyun al-Aqawil Fi Wujuh Al-Ta'wil*. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabiyy.

إنكار

الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف. القناطر: مجلة الدراسات الإسلامية العالمية لن تكون مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو مسؤولية أخرى بسبب استخدام مضمون هذه المقالة.